

ثم يميده وهو أهون عليه ﴿ والأول أشهر كما تقدم في سورة الروم بيانه وتقريره ، والله أعلم .
قال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا شيبان عن شعبة ، عن موسى بن أبي عائشة عن آخر
أنه كان فوق سطح يقرأ ويرفع صوته بالقرآن ، فإذا قرأ ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ قال : سبحانك اللهم
قبل ، فسئل عن ذلك فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك . وقال أبو داود رحمه الله حدثنا محمد بن المثني ، حدثنا
محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن موسى بن أبي عائشة قال : كان رجل يصلي فوق بيته فكان إذا قرأ ﴿أليس ذلك بقادر على
أن يحيي الموتى﴾ قال سبحانك قبل ، فسأله عن ذلك فقال : سمعته من رسول الله ﷺ ، تفرد به أبو داود ولم يسم هذا
الصحابي ولا يضر ذلك .
وقال أبو داود أيضاً : حدثنا عبد الله بن محمد الزهري ، حدثنا سفيان ، حدثني إسحاق بن أمية ، سمعت أعرابياً
يقول : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ «من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهي إلى آخرها﴾ أليس الله بأحكم
الحكامين﴾ فليقل بل وأنا على ذلك من الشاهدين ، ومن قرأ ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ فانتهي إلى قوله ﴿أليس ذلك بقادر
على أن يحيي الموتى﴾ فليقل بل ، ومن قرأ ﴿والمرسلات﴾ فبلغ ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ فليقل آمنا بالله ، ورواه أحمد
عن سفيان بن عيينة ورواه الترمذي عن ابن أبي عمر ، عن سفيان بن عيينة به وقد رواه شعبة عن إسحاق بن أمية قال :
قلت له من حدثك ؟ قال : رجل صدق عن أبي هريرة . وقال ابن جرير : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد عن
قتادة قوله تعالى : ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ ذكر لنا أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأها قال «سبحانك وبل» ثم
قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا سفيان عن أبي إسحاق ، عن مسلم
البطين ، عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ، أنه مر بهذه الآية ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ قال : سبحانك
قبل . آخر تفسير سورة القيامة ، والله الحمد والمنة .

سُورَةُ الْإِنْسَانِ

قد تقدم في صحيح مسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿الم تنزيل﴾
السجدة ﴿هل أتى على الإنسان؟﴾ وقال عبد الله بن وهب : أخبرنا ابن زيد أن رسول الله ﷺ قرأ هذه السورة ﴿هل أتى
على الإنسان حين من الدهر؟﴾ وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود ، فلما بلغ صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه ، فقال
رسول الله ﷺ «أخرج نفس صاحبكم - أو قال أخيكم - الشوق إلى الجنة» مرسل غريب .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِنْ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا

بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئاً يذكر لحقارته وضعفه فقال تعالى : ﴿هل أتى على الإنسان
حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً؟﴾ ثم بين ذلك فقال جل جلاله ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾ أي أخلط ،
والمشج والمشيح : الشيء المختلط بفضه في بعض ، قال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿من نطفة أمشاج﴾ يعني ماء الرجل
وماء المرأة إذا اجتماعا واختلطا ، ثم يتقل بعد من طور إلى طور وحوال إلى حال ولون إلى لون ، وهكذا قال عكرمة ومجاهد
والحسن والربيع بن أنس : الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة . وقوله تعالى : ﴿نبتليه﴾ أي نخبره كقوله جل جلاله
﴿ليلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ ﴿فجعلناه سميعاً بصيراً﴾ أي جعلناه له سمعاً وبصراً يتمكن بهما من الطاعة والمعصية .
وقوله جل وعلا ﴿إنا هديناه السبيل﴾ أي بيناه له ووضحناه وبصرناه به كقوله جل وعلا : ﴿وأما ثمود فهديناهم

فاستحبوا العمى على الهدى ﴿ وكقوله جل وعلا : ﴿وهديناه النجدين﴾ أي بينا له طريق الخير وطريق الشر ، وهذا قول عكرمة وعطية وابن زيد ومجاهد في المشهور عنه والجمهور . وروي عن مجاهد وأبي صالح والضحاك والسدي أنهم قالوا في قوله تعالى : ﴿إنا هديناه السبيل﴾ يعني خروجه من الرحم ، وهذا قول غريب والصحيح المشهور الأول . وقوله تعالى : ﴿إما شاكراً وإما كفوراً﴾ منصوب على الحال في الهاء في قوله ﴿إنا هديناه السبيل﴾ تقديره فهو في ذلك إما شقي وإما سعيد ، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ «كل الناس يغدو فبائع نفسه فموقبها أو معقها» .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر عن ابن خيثم عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة : «أعاذك الله من إمارة السفهاء» قال : وما إمارة السفهاء ؟ قال : «أمراء يكونون من بعدي لا يهتدون هدي ، ولا يستنون بسنتي فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردون على حوضي ، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم وسيردون على حوضي . ياكعب بن عجرة ، الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة ، والصلاة قربات - أو قال برهان - ياكعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت ، النار أولى به ، ياكعب ، الناس غاديان فميتاع نفسه فمعتقها ، وبائع نفسه فموقبها» ورواه عن عفان بن وهيب عن عبد الله بن عثمان بن خيثم به . وقد تقدم في سورة الروم عند قوله جل جلاله ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ من رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه إما شاكراً وإما كفوراً» .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر ، حدثنا عبد الله بن جعفر عن عثمان بن محمد عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «ممن خارج يخرج إلا ببابه رايتان : راية بيد ملك وراية بيد شيطان ، فإن خرج لما يحب الله اتبعه الملك برأيته ، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته ؛ وإن خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برأيته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته» .

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَشَرُوفًا مِّنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٤٢﴾
عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٤٣﴾ يُؤْتُونَ بِالنَّدْرِ نَحْفًا ﴿٤٤﴾ يَوْمَ كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٤٥﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْفَمًا عَلَىٰ حَبِّهِ وَسِكِّينًا
وَنَيْبًا وَأَسِيرًا ﴿٤٦﴾ تَمَّا نَطَعْمُكُمْ يَوْمَ اللَّهِ لَا تَرِيدُ مَسْكَ جِزَاهُ وَلَا شُكُورًا ﴿٤٧﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ﴿٤٨﴾ فَوَقَدْتُمْ آلَ اللَّهِ سَرْدًا ﴿٤٩﴾
أَلْيَوْمَ وَلَقِّنَهُمْ نَصْرَهُ وَسُرُورًا ﴿٥٠﴾ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿٥١﴾

نجح تعالى عما أرسده للكافرين من خلقه به من السلاسل والأغلال والسعير ، وهو اللهب والحريق في نار جهنم كما قال تعالى : ﴿إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون * في الحميم ثم في النار يسجرون﴾ ولما ذكر ما أعده لهؤلاء الأشقياء من السعير قال بعده : ﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً﴾ وقد علم مافي الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع ما يضاف إلى ذلك من اللذافة في الجنة . قال الحسن : برد الكافور في طيب الزنجبيل ولهذا قال : ﴿عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً﴾ أي هذا الذي مزج لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صرفاً بلا مزج ويروون بها ، ولهذا ضمن يشرب معنى يروى حتى عداه بالباء ونصب عيناً على التمييز ، قال بعضهم : هذا الشراب في طيبه كالكافور ، وقال بعضهم : هو من عين كافور ، وقال بعضهم : يجوز أن يكون منصوباً بيشرب حكى هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير . وقوله تعالى : ﴿يفجرونها تفجيراً﴾ أي يتصرفون فيها حيث شاءوا وأين شاءوا من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومعالمهم ، والتفجير هو الإنباغ كما قال تعالى : ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ وقال ﴿وفجرنا خلالها نهران﴾ .

وقال مجاهد : ﴿يفجرونها تفجيراً﴾ يقودونها حيث شاءوا وكذا قال عكرمة وقتادة ، وقال الثوري بصرفونها حيث

شاءوا ، وقوله تعالى : ﴿يُوفُونَ بالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شره مستطيراً﴾ أي يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع وما أوجبه على أنفسهم بطريق النذر . قال الإمام مالك عن طلحة بن عبد الملك الأبي عن القاسم بن مالك عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» رواه البخاري من حديث مالك . ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد وهو اليوم الذي شره مستطير أي منتشر عام على الناس إلا من رحم الله ، قال ابن عباس : فاشياً ، وقال قتادة : استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض ، وقال ابن جرير : ومنه قولهم : استطار الصدع في الزجاج واستطال ، ومنه قول الأعمش :

فبانث وقد أسأت في الفؤا د صدعاً على نأها مستطيراً

يعني ممتداً فاشياً . وقوله تعالى : ﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ قيل على حب الله تعالى ، وجعلوا الضمير عائداً إلى الله عز وجل لدلالة السياق عليه ، والأظهر أن الضمير عائذ على الطعام أي ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له ، قاله مجاهد ومقاتل واختاره ابن جرير كقوله تعالى : ﴿وَأَنّ المال على حبه﴾ وكقوله تعالى : ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ وروى البيهقي من طريق الأعمش عن نافع قال : مرض ابن عمر فاشتبه عنياً أول ماجاء العنب فأرسلت صفيية ، يعني امرأته ، فاشترت عنقوداً بدرهم فاتبع الرسول سائل فلما دخل به قال السائل : السائل . فقال ابن عمر : اعطوه إياه فأعطوه إياه ، فأرسلت بدرهم آخر فاشترت عنقوداً فاتبع الرسول السائل ، فلما دخل قال السائل : السائل . فقال ابن عمر : أعطوه إياه فأعطوه إياه ، فأرسلت صفيية إلى السائل فقالت والله إن عدت لانصيب منه خيراً أبداً ، ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به .

وفي الصحيح «أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح صحيح تأمل الغني وتحشى الفقير» أي في حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتياً وأسيراً﴾ أما المسكين واليتيم فقد تقدم بيانها وصفتهما ، وأما الأسير فقال سعيد بن جبيرة والحسن والضحاك : الأسير من أهل القبلة ، وقال ابن عباس : كان أسراؤهم يومئذ مشركين ، ويشهد لهذا أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى ، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء ، وقال عكرمة : هم العبيد ، واختاره ابن جرير لعموم الآية للمسلم والمشرك ، وهكذا قال سعيد بن جبيرة وعطاء والحسن وقتادة ، وقد وصى رسول الله ﷺ بالإحسان إلى الأرقاء في غير ما حديث ، حتى أنه كان آخر ما أوصى أن جعل يقول «الصلاة وما ملكت أيمانكم» قال مجاهد : هو المحبوس أي يطعمون الطعام لهؤلاء وهم يشتهونه ويجونه قائلين بلسان الحال ﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾ أي رجاء ثواب الله ورضاه «لانريد منكم جزاء ولا شكوراً» أي لانطلب منكم مجازاة تكافؤنا بها ولا أن نشكرونا عند الناس .

قال مجاهد وسعيد بن جبيرة : أما والله ما قالوه بألسنتهم ولكن علم الله به من قلوبهم ، فأثني عليهم به ليرغب في ذلك راغب ﴿إننا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً﴾ أي إنما نفع لهذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه في اليوم العبوس القمطرير . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : عبوساً ضيقاً ، قمطيراً طويلاً ، وقال عكرمة وغيره عنه في قوله ﴿يوماً عبوساً قمطريراً﴾ قال : يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران . وقال مجاهد ﴿عبوساً﴾ العابس الشفنين ﴿قمطيراً﴾ قال : يقبض الوجه بالسور . وقال سعيد بن جبيرة وقتادة : تعبس فيه الوجوه من الهول ، قمطيراً تقليص الجبين وما بين العينين من الهول . وقال ابن زيد ، العبوس الشر ، والقمطرير الشديد ، وأوضح العبارات وأجلاها ، وأحلاها ، وأعلاها وأولاها قول ابن عباس رضي الله عنه ، قال ابن جرير : والقمطرير هو الشديد يقال : هو يوم قمطرير ويوم قماطر ويوم عصب وعصيب ، وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطراً ، وذلك أشد الأيام وأطولها في البلاء والشدة ومنه قول بعضهم :

بني عمنا هل تذكرون بلاءنا؟ عليكم إذا ما كان يوم قماطر

قال الله تعالى : ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً﴾ وهذا من باب التجانس البليغ ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم﴾ أي أمنهم مما خافوا منه ﴿ولقاهم نضرة﴾ أي في وجوههم ﴿وسروراً﴾ أي في قلوبهم ، قاله الحسن البصري وقتادة وأبو العالية والربيع بن أنس ، وهذه كقوله تعالى : ﴿وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة﴾ وذلك أن القلب إذا سر استنار الوجه ، قال كعب بن مالك في حديثه الطويل . وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه فلقة قمر ، وقالت عائشة رضي الله عنها : دخل علي رسول الله ﷺ مسروراً تبرق أسارير وجهه الحديث . وقوله تعالى : ﴿وجزاهم بما

صبروا ﴿١٧﴾ أي بسبب صبرهم أعطاهم ونولهم وبوأهم جنة وحريراً أي منزلاً رحباً وعيشاً ولباساً حسناً . وروى الحافظ ابن مسافر في ترجمة هشام بن سليمان الداراني قال : قرىء على أبي سليمان الداراني سورة ﴿هل أتى على الإنسان ؟﴾ فلما بلغ القارىء إلى قوله تعالى : ﴿وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً﴾ قال : بما صبروا على ترك الشهوات في الدنيا ثم أنشد يقول :
 كم قتل لشهوة وأسير
 نهوات الإنسان تورثه الذل
 أف من مشتتهى خلاف الجميل
 وتلقيه في البلاء الطويل

مُتَكِينِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٧﴾ ودانية عليهم ظللتها وذللت قطفوها تذيلاً ﴿١٨﴾ ويوطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريراً ﴿١٩﴾ قوارير من فضة قدزوها تقديراً ﴿٢٠﴾ ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً ﴿٢١﴾ عينا فيها تسمن سلسيلاً ﴿٢٢﴾ ويوطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً ﴿٢٣﴾ وإذا رأيتهم ثم رأيت نعيماً وملاكياً ﴿٢٤﴾ عليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقنهم رهنه شراباً طهوراً ﴿٢٥﴾ إن هذا كان لجزاءً وكان سعيكم مشكوراً ﴿٢٦﴾

يخبر تعالى عن أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم وما أسع عليهم من الفضل العظيم فقال تعالى : ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الصافات ، وذكر الخلاف في الانتكاه هل هو الاضجاع أو التمرق أو التربع أو التمكن في الجلوس ، وأن الأرائك هي السرر تحت الحجال . وقوله تعالى : ﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهيراً﴾ أي ليس عندهم حر مزعج ولا برد مؤلم بل هي مزاج واحد دائم سرمدى لا يغيون عنها حولاً ﴿ودانية عليهم ظللها﴾ أي مربية إليهم أغصانها ﴿وذللقت قطفوها تذيلاً﴾ أي متى تعاطاه دنا القطف إليه وتدل من أعلى غصنه كأنه سامع طائع كما قال تعالى في الآية الأخرى ﴿وجنى الجنتين دان﴾ وقال جل وعلا ﴿قطفوها دانية﴾ قال مجاهد : ﴿وذللقت قطفوها تذيلاً﴾ إن قام ارتفعت معه بقدر ، وإن تعدت تذللت له حتى ينالها ، وإن اضطجع تذللت له حتى ينالها فذلك قوله تعالى : ﴿تذيلاً﴾ وقال قتادة : لا يرد أيديهم عنها شوك ولا بعد ، وقال مجاهد : أرض الجنة من ورق وترابها من المسك ، وأصول شجرها من ذهب وفضة ، وأفنانها من اللؤلؤ الرطب والزبرجد والياقوت والورق والشمر بين ذلك ، فمن أكل منها قائماً لم تؤذ ، ومن أكل منها قاعداً لم تؤذ ، ومن أكل منها مضطجعا لم تؤذ .

وقوله جلّت عظمته ﴿ويوطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب﴾ أي يوطوف عليهم الخدم بأواني الطعام وهي من فضة وأكواب الشراب وهي الكيزان التي لا عرى لها ولا خراطيم ، وقوله ﴿قواريراً قوارير من فضة﴾ فالأول منصوب بخبر كان أي كانت قواريراً ، والثاني منصوب إما على البدلية أو تمييز لأنه بينه بقوله جل وعلا ﴿قوارير من فضة﴾ قال ابن عباس ومجاهد والحسن البصري وغير واحد : بياض الفضة في صفاء الزجاج والقوارير لا تكون إلا من زجاج ، فهذه الأكواب هي من فضة وهي مع هذا شفاقة يرى مافي باطنها من ظاهرها ، وهذا مما لا نظير له في الدنيا . قال ابن المبارك عن إسحاق بن عمار عن رجل عن ابن عباس : ليس في الجنة شيء إلا قد أعطيتم في الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة . رواه ابن أبي حاتم : وقوله تعالى : ﴿قدزوها تقديراً﴾ أي على قدر ربه لا تزيد عنه ولا تنقص بل هي معدة لذلك مقدرة بحسب ربي صاحبها ، هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة وأبي صالح وقتادة وابن أبزى ، وعبدالله عبيد الله بن عمير وقتادة والشعبي وابن زيد ، وقاله ابن جرير وغير واحد ، وهذا أبلغ في الاعتناء والشرف والكرامة ، وقال العوفي عن ابن عباس ﴿قدزوها تقديراً﴾ قدرت للكف وهكذا قال الربيع بن أنس ، وقال الضحاک ، على قدر كف الخادم ، وهذا لا ينافي القول الأول فإنها مقدرة في القدر والري .

وقوله تعالى : ﴿ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً﴾ أي ويسقون يعني الأبرار أيضاً في هذه الأكواب ﴿كأساً﴾ أي خراً ﴿كان مزاجها زنجبيلاً﴾ فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد ، وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر ، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة ، وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منها صرفاً كما قاله قتادة وغير واحد . وقد

تقدم قوله جل وعلا ﴿عِيناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادَ اللَّهِ﴾ وقال ههنا ﴿عِيناً فِيهَا تَسْمَى سُلَيْبِيلاً﴾ أي الزنجبيل عين في الجنة تسمى سُلَيْبِيلاً ، وقال عكرمة : اسم عين في الجنة ، وقال مجاهد : سميت بذلك لسلاسة مسيلها وحدة جريها ، وقال قتادة ﴿عِيناً فِيهَا تَسْمَى سُلَيْبِيلاً﴾ عين سلسة مستقيد ماؤها ، وحكى ابن جرير عن بعضهم أنها سميت بذلك لسلاستها في الحلث واختار هو أنها تعم ذلك كله وهو كما قال .

وقوله تعالى : ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّغْلَدُونَ﴾ إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً مثوراً أي يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة ﴿مُغْلَدُونَ﴾ أي على حالة واحدة مغلدون عليها لا يتغيرون عنها لا تزيد أعمارهم عن تلك السن ، ومن فسرهم بأنهم مخرصون في أذانهم الأقرطة فإنما عبر عن المعنى بذلك ، لأن الصغير هو الذي يليق له ذلك دور الكبير . وقوله تعالى : ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لَوْلُؤاً مُّثَوَّرًا﴾ أي إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة في التشبيد أحسن من هذا ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المثور على المكان الحسن . قال قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو . مامن أهل الجنة من أحد إلا يسمى عليه ألف خادم كل خادم على عمل ما عليه صاحبه .

وقوله جل وعلا ﴿وَإِذَا رَأَيْتُ﴾ أي وإذا رأيت يا محمد ﴿ثُمَّ﴾ أي هناك يعني في الجنة ونعيمها وسعتها وارتفاعها ومافيا من الخبرة والسرور ﴿رَأَيْتُ نَعِيماً وَمَلَكاً كَبِيراً﴾ أي مملكة لله هناك عظيمة وسلطاناً باهراً . وثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا إليها : إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها . وقد قدمنا في الحديث المروي من طريق ثوير بن أبي فاختة عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ ﴿إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ لِمَنْ يَنْظُرُ فِي مَلَكِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِي سَنَةٍ يَنْظُرُ إِلَى أَقْصَاهُ كَمَا يَنْظُرُ إِلَى أُذُنِهِ﴾ فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لأدنى من يكون في الجنة فما ظنك بما هو أعلى منزلة وأحظى عنده تعالى ؟ وقد روى الطبراني ههنا حديثاً غريباً جداً فقال : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا محمد بن عمار الموصلي ، حدثنا عقبة بن سالم عن أيوب بن عتبة عن عطاء عن ابن عمر قال : جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ ﴿سَلِّ وَاسْتَفْهَمْ﴾ فقال : يا رسول الله فضلتهم علينا بالصور والألوان والنبوة ، أفرأيت إن آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت به إني لكائن معك في الجنة ؟ قال ﴿نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لِيرَى بِيضَ الْأَسْوَدِ فِي الْجَنَّةِ مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ عَامٍ﴾ ثم قال رسول الله ﷺ ﴿مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَانَ لَهُ بِهَا عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ ، وَمَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ كَتَبَ لَهُ مِائَةَ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَأَرْبَعَةَ وَعِشْرُونَ أَلْفَ حَسَنَةٍ﴾ فقال رجل : كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ ﴿إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْعَمَلِ لَوْ وَضَعَ عَلَى جَبَلٍ لَأَنْقَلَبَهُ فَتَقَرَّمِ النِّعْمَةُ أَوْ نَعِمَ اللَّهُ فَتَكَادُ تَسْتَفِدُّ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَّا أَنْ يَتَّخِذَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ وَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ - إِلَى قَوْلِهِ - مَلَكاً كَبِيراً﴾ فقال الحبشي : وإن عيني لترى ما ترى عينك في الجنة قال ﴿نَعَمْ﴾ فاستبكي حتى فاضت نفسه . قال ابن عمر : ولقد رأيت رسول الله ﷺ يدلّيه في حفرة بيده .

وقوله جل جلاله ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خَضَرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ أي لباس أهل الجنة فيها الحرير ومنه سندس وهو رفيع الحرير كالمقصان ونحوها مما يلي أبدانهم ، والإستبرق منه مافيه بريق ولمعان وهو مما يلي الظاهر كما هو المعهود في اللباس ﴿وَحُلُّوْا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ وهذه صفة الأبرار ، وأما المقربون فكما قال تعالى : ﴿يَحْمِلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤاً وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلي قال بعده : ﴿وَسَقَاهُمْ رَبِّهِمْ شَرَاباً طَهُورًا﴾ أي طهر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الأخلاق الرديئة ، كما روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : إذا انتهى أهل الجنة إلى باب الجنة وجدوا هنالك عينين ، فكأنما ألهموا ذلك فشرّبوا من إحداها فأذهب الله مافي بطونهم من أذى ، ثم اغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم نضرة النعيم ، فأخبر سبحانه وتعالى بحالهم الظاهر وجمالهم الباطن . وقوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾ أي يقال لهم ذلك تكريماً لهم وإحساناً إليهم كما قال تعالى : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ وكقوله تعالى : ﴿وَنُودُوا أَنْ تَتَكَلَّمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْمَوْهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾ أي جزاكم الله تعالى على القليل بالكثير .

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مَنْهُمْ إِثْمًا أَوْ كُفُورًا ﴿٢٤﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ضَلِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ

خَلَقْنَهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾
وَمَا يَشَاءُ وَنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

يقول تعالى ممتناً على رسوله ﷺ بما أنزله عليه من القرآن العظيم تنزيلاً : ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ أي كما أكرمك بما أنزل عليك فاصبر على قضائه وقدره واعلم أنه سيدبرك بحسن تدبيره ﴿ولاتطع منهم أمياً أو كفوراً﴾ أي لاتطع الكافرين والمنافقين إن أرادوا صدك عما أنزل إليك بل بلغ ما أنزل إليك من ربك وتوكل على الله فإن الله يعصمك من الناس ، فالأثم هو الفاجر في أفعاله والكفور هو الكافر قلبه ﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً﴾ أي أول النهار وآخره ﴿ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً﴾ كقوله تعالى : ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ وكقوله تعالى : ﴿بأيها المزمل * قم الليل إلا قليلاً * نصفه أو انقص منه قليلاً * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً﴾ ثم قال تعالى منكراً على الكفار ومن أشبههم في حب الدنيا والإقبال عليها والانصباب إليها وترك الدار الآخرة وراء ظهورهم ﴿إن هؤلاء يجنون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً﴾ يعني يوم القيامة ثم قال تعالى : ﴿نحن خلقناهم وشددنا أسرهم﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد : يعني خلقهم ﴿وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً﴾ أي وإذا شئنا بعثناهم يوم القيامة وبدلناهم فأعدناهم خلقاً جديداً ، وهذا استدلال بالبداءة على الرجعة . وقال ابن زيد وابن جرير ﴿وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً﴾ أي وإذا شئنا أتينا بقوم آخرين غيرهم كقوله تعالى : ﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديراً﴾ وكقوله تعالى : ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿إن هذه تذكرة﴾ يعني هذه السورة تذكرة ﴿فمن شاء اتخذ إلىٰ ربه سبيلاً﴾ أي طريقاً ومسلكاً أي من شاء اهتدى بالقرآن كقوله تعالى : ﴿وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر﴾ الآية ، ثم قال تعالى : ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ أي لا يقدر أحد أن يهدي نفسه ولا يدخل في الإيمان ولا يخرج لنفسه نفعاً ﴿إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً﴾ أي عليم بمن يستحق الهداية فيبصرها له ويقبض له أسبابها ، ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى . وله الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة ، ولهذا قال تعالى : ﴿إن الله كان عليماً حكيماً﴾ ثم قال : ﴿يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً﴾ أي يهدي من يشاء ويضل من يشاء فمن يهده فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له . آخر تفسير سورة الإنسان ، والله الحمد والمنة .

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

رتبها ٧٧ آياتها ٥٠

قال البخاري : ثنا أحمد ، ثنا عمر بن حفص بن غياث ، ثنا الأعمش ، حدثني إبراهيم عن الأسود عن عبد الله - هو ابن مسعود - رضي الله عنه قال : بينا نحن مع رسول الله ﷺ في غار بئني إذ نزلت عليه ﴿والمرسلات﴾ فإنه ليتهاهاه وإني لألتفهاه من فيه وإن فاه لرطب بها إذ وثبت علينا حية ، فقال النبي ﷺ : «اقتلواها» فابتدرناها فذهبت فقال النبي ﷺ : «وقيت شرکم كما وقیت شرها» وأخرجه مسلم أيضاً من طريق الأعمش ، وقال الإمام أحمد : ثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس عن أمه أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفاً ، وفي رواية مالك عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس أن أم الفضل سمعت يقرأ ﴿والمرسلات عرفاً﴾ فقالت : يا بني أذكرتني بقراءتك هذه السورة إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب . أخرجه في الصحيحين من طريق مالك . به .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُكَلِّمَاتُ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿٤﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿٥﴾ عَذْرَاءٌ تُؤْتِرُ ﴿٦﴾ إِنَّمَا